الطالبة سابق زليخة

الدرجة العلمية: الثانية دكتوراه

التخصص: أدب حديث ومعاصر

محور المداخلة: رهانات وتحديات أدب الطفل في الوطن العربي.

عنوان المداخلة: العزوف عن القراءة لدى الطفل العربي: هل هو سلوك متوارث أم أزمة مناهج وبرامج؟

الملخص: مما لا شك فيه أن حب الاكتشاف والرغبة في التعلم هو سلوك فطري يبدأ في مرحلة مبكرة لدى الأطفال وهو ما يدفعهم إلى القراءة التي تعد وسيلة لتنمية قدراتهم المعرفية والعقلية التي تنعكس إيجابيا على طريقة تفكيرهم وتحصيلهم الدراسي، لكننا كثيرا ما نصطدم بالعزوف عن القراءة لدى هؤلاء الأطفال حيث نلاحظ ابتعادا شبه كلي عن القراءة، وقطيعة مع الكتاب.

الكلمات المفتاحية: القراءة، السلوك، التعليم، مناهج، العزوف.

المقدمة: تعد القراءة من أهم وسائل التعليم كما تعد ركيزة أساسية لبناء المجتمع وتنشئة الأجيال فبها يعزز الفرد هويته،ويربط ماضيه بحاضره، وبالتالي يمد جسور التواصل مع غيره عبر ذلك الرصيد الفكري واللغوي والثقافي الذي ينير بصيرته ويفتح له آفاق العلاقات الإجتماعية والفكرية والحضارية.

والقراءة هي حب الاستطلاع والاكتشاف للعالم والأشياء، وهي سلوك فطري موجود لدى كل الأفراد بغض النظرعن مستوياتهم العلمية والثقافية وتوجهاتهم الفكرية، ولعل أول آية نزلت في القرآن الكريم تدعو للقراءة مصداقا لقوله عز وجل" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم،علم الانسان ما لم يعلم" فعقيدتنا تدعو إلى تنوير العقول بالقراءة، كونها تتيح اكتساب المعارف وتنمية القدرات، وبالتالي بناء شخصية متوازنة قوامها القراءة والانكباب على تحصيل المعرفة والانخراط في المجتمع الذي يضمن له يسر التعامل ومرونة التفاعل مع الآخر.

والقراءة هي نشوة تداعب الذات، وفعل يغازل الروح، وهاجس يسكن كل من تتوق نفسه إلى التجديد والتغيير.

إذن فإذا كان الجسد يحتاج إلى غذاء متكامل ومتوازن يضمن توازنه وصحته ورشاقته، فللروح أيضا نصيب من هذه الاحتياجات التي تتكيف مع هذه الروح بحسب حاجتها إلى هذا الفعل، لذلك يجب أن تع النخبة المثقفة جيدا حاجة الفرد إلى القراءة الإيجابية التي تقيه شبهة الوقوع في قراءة عجفاء عرجاء لا طائل من ورائها، وبالتالي حمايته من كل اختراق فكري يهدف إلى المساس بالكفاءات والزج بالأفراد في غياهب الجهل وبراثن الأمية.

ومن ثم فالقراءة لبنة أساسية في بناء الشعوب، ومعيار لتصنيف الأمم من خلال الإقبال على هذا الفعل، فتكون الشعوب حينها على قدر من الكفاءة والثقافة والتأهيل العلمي.

أ- الإشكالية الرئيسية: العزوف عن القراءة لدى الطفل العربي، هل هو سلوك متوارث أم أزمة مناهج وبرامج؟

ب- الأسئلة الفرعية: ما مفهوم القراءة؟ ماهو واقع القراءة لدى الطفل العربي؟ ما أسباب العزوف عن القراءة لدى الطفل العربي؟ وما هي رهانات الدول العربية في هذا الشأن؟

جـ فرضيات البحث:

- القراءة رسالة ربانية ومنهج نبوي، وعقيدة تدعو إلى تنوير العقل، والنهل من العلوم لتحقيق مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ العقل.
- القراءة فعل وممارسة تتيح الفرص تفتح الباب أمام كل الأشخاص بغض النظر عن مستوياتهم وأعمارهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية.

- القراءة مطلب وحق مكفول سنته الدولة ضمن قوانينها وسياستها وبرامجها التعلمية لضمان حق الطفل في التعلم لتنشئة جيل واع ومتعلم.

د/ أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في التعريف بالقراءة كوسيلة لتنمية الفكر وإنارة العقل كما نحاول في هذه الورقة البحثية البحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت بأطفالنا بهجر القراءة وعدم الإقبال على تصفح الكتب بكل أنواعها.

ج/ اهداف البحث: نهدف من وراء البحث إلى ما يلي:

- محاولة التعريف بالقراءة أنواعها، مهاراتها، مستوياتها.
- كما نحاول أن نتطرق إلى أهم النظريات التي أسست لفعل القراءة.
- محاولة التطرق إلى أسباب عزوف الطفل عن القراءة واقتراح الحلول المناسبة.

مفهوم القراءة: تعد القراءة لبنة أساسية لبناء الفرد، كما تعد نشاطا أساسيا لتطور القدرات المعرفية والعقلية وبالتالي فهي طريقة لإثبات الذات، وسبيل للاندماج الاجتماعي والفكري والحضاري، لذلك فقد مر مفهوم القراءة وتطور عبر التاريخ بحسب حاجة الانسان إليها، فتعددت بذلك مفاهيمهاومستوياتها بحسب نظرة النقادوكذلك الزاوية التي ينظر إليها.

القراءة لغة: لقد عرف المنجد في القراءة كما يلي:

قرأ: قرأ القراءة قراءة وقرآنا. وقرأ الكتاب: نطق بالمكتوب فيه، أو أُلقى النظر عليه وطالعه. وأقرأه السلام، أبلغه السلام، كأنه حين يبلغه السلام منه. يحمله على أن يقرأ السلام ويرده. **تقرأ:** تفقه. استقراء فلانا: طلب منه أن يقرأ. وقرأ الأمور: تتبعه لمعرفة أحوالها وخواصها.

والقراءة جمعها قراءات: كيفية القراءة. الأقرأ، //الأفصح قراءة// الأنثر قراءة. القراء جمع قراؤون: الحسن قراءة.[1]

القراءة اصطلاحا: ولا يختلف مفهوم القراءة في الاصطلاح عن مفهومه في اللغة، حيث تعد نشاطا" من الأنشطة اللغوية الأساسية، يقوم في أساسه على اللفظ الشفوي للكلمات، والذي يظهر من خلال التدريب على النطق بالحروف، ومن ثم الكلمات التي تكون جملا وفقرات".[2]

ويبدو أننا لا نلاحظ ثمة فرقا بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للقراءة، كونها تصب في مفهوم واحد وهو المطالعة، وكل ما ينتج عن نطق الانسان بالكلام المكتوب، فكل من المفهومين يقوم على فك للرموز ودلالة الحروف والكلمات والجمل.

.

نشأة القراءة وتطورها: بما أن القراءة في مفهومها العام هي نشاط من الأنشطة الأساسية التي تساهم في تنمية العقل وتنمية القدرات الذاتية للإنسان، لذلك فإن هذا النشاط الذهني والعقلي لم ينشأ من عدم بل مربمراحل وفترات" حيث مر مفهوم القراءة وتطورها بمراحل متعددة حيث يشير كيرني (1990- cairny)في تتبعهلهذه المراحل في تطور مفهوم القراءة إلى النظريات التي أدت إلى حدوث هذا التغيير في مفهوم القراءة".[3]

لذلك فإننا نستطيع أن نقول أن القراءة كمفهوم تطور عبر مراحل وفترات، وذلك استنادا إلى نظريات متعددة حاولت أن تؤسس له بحسب الرؤية والزاوية التي ينظر منها إلى هذا المفهوم.

أ- النظرية المعرفية: حيث يرى كيرنيأن مفهوم القراءة استند في بدايته إلى ما يسمى بالنظرية المعرفية و" التي ترى بأن القراءة هي عملية نقل معلومات ومعارف، لذا فقد نظر للقراءة أنها عملية نقل للمعنى عن طريق تفكيك الكلمات من الصفحة المقروءة بطريقة خطية lineurway".[4]

إذن نلاحظ أن هذه النظرية، ترى أن القراءة هي عملية نقل للمعلومات من العالم الحسي(الصفحة) إلى العالم المعنوي(العقل)، وتعد هذه العملية بدورها مهارة من المهارات العقلية للإنسان.

بـ النظرية التفاعلية: وقد جاءت هذه النظرية في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، كردة فعل على النظرية المعرفية، وبرز خلال هذه الفترة عدة باحثين أبرزهم: جودمان وسميث good man and smith اللذين طورا ما عرف بالنظرية التفاعليةinteractive (theory) والتي تعتبر أن القراءة عملية تتطلب التفاعل بين المعرفة الموجودة لدى القارئ من جهة، والنص من جهة أخرى بشكل يمكن القارئ من بناء المعنى.[5]

ولعلنا نلاحظ أن كلا من جود مان وسميث يعارضان النظرية المعرفية فلم تكتف بنقل المعلومات من الصفحة إلى العقل بل يجب أن تكون القراءة ذات بعد تفاعلي، وذلك بين المكتسبات القبلية التي تبلورت في ذهن القارئ وبين النص، وهذا ما يساهم مساهمة فعالة في بناء المعنى، اذن فالنظرية التفاعلية تجاوزت نوعا ما النظرية المعرفية كون هذه الأخيرة لم تتجاوز عملية النقل من العالم الحسي إلى العالم المعنوي، بينما نلاحظ أن النظرية التفاعلية قد سجلت قفزة نوعية في نظرتها إلى القراءة، حيث جعلت من القارئ عنصرا فاعلا وفعالا في عملية بناء المعنى.

جـ نظرية المعاملات: (transactive theory) حيث يمثل هذه النظرية كلا من روزنبالت وفرانكلن وتعد هذه النظرية" أن المعنى الناشئ من قراءة النص هو أكبر وأعظم من النص المكتوب، ومن المعرفة السابقة لدى القارئ". [6]

ويبدو أنه رغم أن هذه النظرية تعد امتدادا للنظرية السابقة إلا أننا نلاحظ نقطة التطور فيها كانت واضحة حيث جعلت من المعنى المستقى من النص واستقراره في ذهن القارئ هو أكبر بكثير من النص المكتوب.

ولعلنا نخلص من خلال هذه النظريات أنها رغم اختلافها في النظرة إلى عملية القراءة، حيث أننا نلاحظ اختلافا وتفاوتا بينها، إلا أن هذا الاختلاف يخدم عملية القراءة وذلك من خلال تطورها عبر وجهات النظر المختلفة، حيث لاحظنا أن القراءة مرت بمراحل مختلفة، فكانت أولية بسيطة بالنسبة للنظرية المعرفية، ثم تطورت لتصل إلى التفاعلية، إلا أن غدا فعل القراءة مرتبطا بالقارئ ومدى تبلور الفكرة في عقل هذا الأخير(القارئ)، لتغدو هذه العلاقة متلازمة بين النص المكتوب والمعنى المستنبط في ذهن القارئ.

مستويات القراءة: ما من شك أن القراءة عالم فسيح لا تحده الحدود،حيث نجد شغف الكثير بهذا العالم الذي أصبح منارة وشكلا من أشكال إثبات الذات، خاصة إذا سلمنا أن هذا العالم تجاوز شكله التقليدي، فتعددت مصادره ووسائله، وأصبح في متناول كل فرد ليسعى إلى تنمية قدراته وإثبات وجوده، وما دمنا نسلم بوجودوسائللتحصيل هذا الفعل،فإنه يوجد بالمقابل مستويات لهذا الفعل.

أـ القراءة الأساسية: ويعد هذا النوع من القراءة من المستوى الأول ذلك أن القراءة فيه أولية ابتدائية وهي المرحلة الأولى من التعلم التي يسعى فيها القارئ المبتدئ تكوين الأسس الأولى في القراءة وكثيرا ما يكون هذا النوع من تعلم القراءة في البيت والكتاتيب" ويتحقق هذا المستوى في المدرسة الابتدائية وإلى غايةالمرحلة الإعدادية، إذ أن الطفل في هاتين المرحلتين، يتعلم القراءة، ليتحكم بها، إنه يتعلم، ماذا تقول الجملة، وماذا تريد التعبير عنها، مع ربط الالفاظ بمعانيها"[7]

ونلاحظ أن هذا النوع من القراءة يبدأ في مراحل مبكرة من مراحل الطفل حيث يتهيأ في ذهن الطفل للتعلم، وكثيرا ما يواجه الطفل في هذه المرحلة صعوبات جمةلأنه حديث عهد بتعلم الحروف أو تذكرها، وربطها ببعضها لتكوين كلمة ومن ثم تكوين جمل، وكثيرا ما يحتاج الطفل إلى المساعدة من طرف الأولياء والمعلمين في هذه المرحلة.

القراءة الاستكشافية: وبعد إن عرفنا بالنوع الأول وهو// القراءة الأساسية// ومدى أهميتها في حياة الطفل الذي يتدرب في هذه المرحلة بالتعرف على الحروف ومحاولة ربطها ببعضها لتكوين الكلمات ثم الجمل، وبالتالي استنباط المعنى واستقراره في ذهن

الطفل. وبما أن عالم القراءة هو عالم فسيح وأفق رحب، فالطفل أيضا من طبيعته حب الاستطلاع والاكتشاف، فلا يكتف الطفل بالتعرف على الحروف فقط بل يسعى لتطوير قدراته وتوسيع خياله، ويكون في هذه الحالة يطلب المزيد ليكون أكثر قدرة واستعدادا" وتتطلب حالة القراءة، رفع القدرة على الفهم والاستيعاب بالإمكانات الشخصية، أي بتحريك القدرة العقلية الذاتية، من الفهم الأقل إلى الفهم الأكثر".

ولعلنا نلاحظ أن هذا المستوى من القراءة يتطلب جهدا أكبر من النوع الأول ذلك لأن الطفل في حالة تطوير لقدراته العقلية والذهنية، حيث لا يكتف بالمرحلة الأولى التي تكون أولية ابتدائية، أما هذه المرحلة فتدفع الطفل إلى الاكتشاف الذي يتطلب بدوره جهدا أكبر للوصول إلى مهارة قرائية تفوق القراءة الأولية أو ما يسمى" القراءة الأساسية".

جـ القراءة للإبداع: وهي أرقى وأسمى مستويات القراءة، حيث يتخطى الطفل المستويين الأولين (القراءة الأساسية، القراءة الاستكشافية ليصل إلى النوع الأرقى وهو "القراءة للإبداع"، ويحتاج هذا النوع من القراءة إلى بذل جهد أكثر" وتحتاج القراءة للإبداع، قراءة أكثر من كتاب واحد.وفي أكثر من وعاء واحد، حول هذا الموضوع الواحد".[8]

ولعلنا نلاحظ أن هذا النوع من القراءة هو الأكثر تعقيدا وتنظيما، وبالتالي يتطلب أكثر جهد من القارئ حتى يكون رصيدا معرفيا ولغويا، فيكون أكثر استعدادا لتكوين خلفية معرفية يثري بها ثقافته ورصيده المعرفي، حيث يكون في مرحلة أكثر توسعواكتشاف لقدراته الذاتية فيكون أكثر قدرة على التحليل والاستنتاج.

ونخلص إلى فكرة مفادها أن تظافر هذه الأنواع من القراءة أو المستويات هي بمثابة تكوين لشخصية الطفل وإعداده ليكون شخصية قادرة على رفع التحدي وتخطي الصعاب.

أسباب العزوف عن القراءة لدى الطفل: لا شك أن العزوف عن القراءة من أصعب المشاكل والعوائق التي تواجه الفرد بصفة عامة، والطفل بصورة خاصة، حتى أنها أصبحت مظهرا يطغى على سلوك أطفالنا، لذلك وجب علينا تشخيص هذه الأسباب التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة لدى الأطفال مع الاجتهاد في إيجاد سبل العلاج لهذه المشكلة، ومن الأسباب التي أدت بالطفل إلى العزوف عن القراءة وهجر الكتب مايلي:

- الانشغال بالأمور المادية، كالعمل والمعيشة والانصراف إلى اللهو.
- كثرة القنوات التلفزيونية وميلها إلى البرامج الإلهائية بدل البرامج الهادفة.
- كثرة الألعاب الالكترونية واستمالتها للأطفال عن طريق ما تقدمه من العاب تلهي الطفل عن القراءة.
- لجوء الأغلبية من الأساتذة والمعلمين والتلاميذ إلى المعلومات الجاهزة في الانترنيت قصد إنجاز البحوث والواجبات.

- كثرة الاتجاه إلى النوادي والمسارح والمخيمات تقتل في الطفل الرغبة في المطالعة.
- الاستهانة بالقراءة لدى الكثير من الأسر سبب في تخلي الأطفال عن القراءة، ذلك لما تمثله الأسرة كنواة أساسية في بناء الطفل.
- غلاء الكتب له دور بارز في النفور من القراءة.[9]

الحلول المقترحة: ما من شك أن لكل معضلة حل، ولكل داء دواء، لذلك يجب أن تكون الحلول المقترحة في مستوى الإشكالية المطروحة، ولا يتسن لنا ذلك إلا بالتريث والأخذ بالأسباب، ولعل أول هذه الأسباب هي التحلي بالإرادة القوية والإيمان بإيجاد الحلول، لأن الاستسلام والرضوخ لفكرة استحالة الخروج بنتائج ملموسة ه واستسلام لليأس، فينتج عنه الضعف والوهن والاستكانة إلى الفشل، لذلك يجب التفكير في إيجاد السبل الناجعة للخروج بنتائج مرضية، وأكيد ان ذلك لا يتأتى إلا بالصبر والاحتكام إلى الحلول التي من شأنها أن تنير الذاكرة، لتنهض بالأجيال للالتحاق بركب الدول المتحضرة ولعل من السبل التي نراها ناجعة لإرساء فعل القراءة ما يلي:

- محاولة تحبيب الطفل في القراءة منذ نعومة أظافره، ذلك لأن الطفل بدوره كائن يميل إلى حب التطلع والاكتشاف خاصة في هذه المرحلة وهذا الدور منوط بالأسرة كونها الحاضن الأول.
- انشاء مكتبة منزلية تجمع بين الكتب العلمية والدينية وقصص الأطفال التي تتناسب وسن الطفل في هذه المرحلة.
- فتح المكتبات العمومية أمام الأطفال وعدم الاكتفاء بما يقدم في المدرسة.
- خفض تكلفة الكتاب ويكون ذلك ضمن استراتيجية الدولة وسياستها في مجال التعلم.
- تشجيع القراءة عن طريق المشاركة في المسابقات العلمية والندوات، وذلك بنشر روح المنافسة بين القراء عملا بقوله تعالى:" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".
- الانتقاء والسمو بالذائقة الجمالية، وذلك باختيار الأنسب من الكتب، لأنه ليس كل ما يكتب جديرا بالقراءة.
- التريث والصبر في قراءة المضامين وعدم التسرع في الحكم على الكتاب من الغلاف، أو العنوان، لأن في كثير من الأحيان يجد القارئ ضالته بعد تناوله للمضمون .

الخاتمة:

ونخلص أخيرا وبعد عرضنا لأهم العناصر التي تبني عليها القراءة التي تعد أكسجين الشعوب، والطريق الأمثل لإثبات الذات، وتقدم الأمم، ولعل المولى عز وجل حث على القراءةفكانت اول اية من الذكر الحكيم تدعو لذلك، خاصة أن مصادر هذا الفعل الإيجابي تعددت وتنوعت مصادرهو مواده الورقية والالكترونية والتعريف بأسسه، وأنواعه ومستوياته ومهاراته، لذلك فإننا نراهن في هذا المجال على دور الا سرة والمدرسة والجامعة والمطالعة الحرة أيضا، وكلها مؤسسات تكون في مجملها منظومة تربوية ،وخلفية معرفية لدعم عملية القراءة، ذلك أن تقدم الأمم مرهون بغرس هذه القيمة في نفوس الأجيال الناشئة، فالقراءة نشوة تداعب الذات، وفعل يغازل الروح ،وهاجس يسكن كل من تتوق نفسه إلى التجديد والتغيير، لذلك كان حري بنا ان نفرق بين عالمين:عالم يحصر القراءة في التعلم والحصول على وظيفة، وبين عالم يتخذ من القراءة طريقة للإجابة عن أسئلة تتجدد مع الحياة.

ليكون هدفنا الأسمى هو الانتقاء في الإقبال على ما أقرأ، إلى هدف الارتقاء بالذائقة الجمالية التي تصل نشوة التذوق الجمالي والفني.

الهوامش:

1عبد اللطيف صوفي، فن القراءة أهمياتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها، ط1، دار الفكر، دمشق، 2007، ص32.

2 عدنان بريسم، تعريف القراءة لغة واصطلاحا، الموقع الالكتروني.

3عمران أحمد السرطاوي، فؤاد محمود رواش، القراءة مفهومها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها، ط1 ماليزيا2016، ص22.

4 المرجع نفسه، ص نفسها.

5 المرجع نفسه، ص نفسها.

6 المرجع السابق، ص 23.

7 عبد اللطيف صوفي، فن القراءة، ص 135، 136.

8 المرجع نفسه، ص170.

9 ينظر، نصر الدين الشيخ بوهني، ظاهرة العزوف عن القراءة مالها وما عليها، مجلة المخبر، المجلد17، العدد1، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية، 2021، ص326.